www.dorat-ghawas.com

١١٦

المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

www.dorat-ghawas.com

محتويات العدد

المورد . العدد الرابع . المجلد التاسع والعشرون . ٢٠٠١

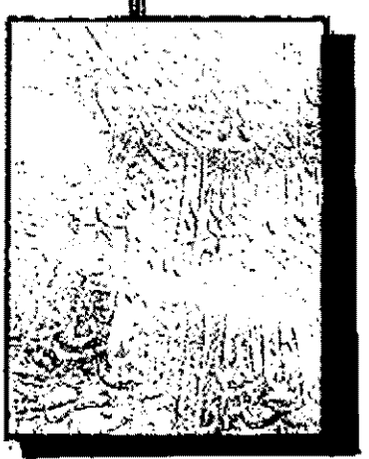

■ الموردة

• فرض الحصار واستمراره
مصلحة اميركية ـ صهيونية ..... د . محمد البكاء ٣ – ٤

■ بحوث ودراسات

• الجهاد في القرآن الكريم ..... د . محمد البكاء ٥ – ١٤
• الصف القتالي عبر الايام والليالي / عرض وتحليل ..... عبد القادر التحافي ١٥ – ٣٤
• المبرد والقراءات القرآنية ..... د . علي ناصر غالب ٣٥ – ٤١
• القراءات القرآنية الشاذة في
غريب القرآن للسجستاني ..... د . صالح مهدي عباس ٤٢ – ٥٢
• كعب بن زهير بين الغربة
والانتماء في نصه الشعري ..... د . عبد الرزاق خليفة الدليمي ٥٣ – ٦٢
• مجالس ابن الجوزي في بغداد وآثارها الاجتماعية ..... أ . د . حسن عيسى الحكيم ٦٣ – ٦٦
• مشيخة الغزاة ودورها في بلاد الاندلس ..... د . مزاحم علاوي الشاهري ٦٧ – ٧٤
• مقام الاطباء عند الخليفة المتوكل على الله ..... أ . د . بهجت كامل عبد اللطيف ٧٥ – ٨٠
• الطب العراقي واثره في الطب اللاتيني ..... د . محمود الحاج قاسم محمد ٨١ – ٨٦

■ النصوص المحققة والفهارس

• زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره ..... أ . د . ايهم عباس القيسي ٨٧ – ٩٤
• مخطوطات خزانة احمد سالم الكيلاني ..... اسامة ناصر النقشبندي ٩٥ – ١١٢

■ نقد وتعقيب

• نظرات نقدية في كتاب غرر البلاغة
في النظم والنثر للثعالبي ..... عباس هاني الچراخ ١١٣ – ١٢٢

الجديد في المكتبة

• كتاب الانبياء في العراق د . رعد شمس الدين الكيلاني
عرض : نجلة محمد ..... ١٢٣ – ١٢٥

اخبار التراث العربي ..... اعداد : حسن عربيي ١٢٦ – ١٢٨

www.dorat-ghawas.com

بحوث ودراسات

المبرد والقراءات القرآنية

د. علي ناصر غالب
جامعة بغداد / كلية التربية

بذل النحويون الاوائل جهداً كبيراً في أثناء وضعهم قواعد النحو العربي . فقد شرعوا في استقراء اللغة من مصادرها الأولى ؛ القرآن الكريم وقراءاته والشعر وكلام العرب الفصحاء والأمثال . وهم في استقرائهم كانوا يرومون الدقة والشمول لذلك ــ فالشاهد النحوي الذي يعتمدونه ما برحوا يتخذونه سنداً لاية قاعدة نحوية يستنبطونها وكلما كثرت الشواهد التي تسند هذه القاعدة أو تلك أضحت أكثر اطراداً لكونها شائعة ومألوفة في الاستعمال .

والقراءات القرآنية تعد مصدراً مهماً من مصادر النحويين وفي الوقت نفسه عدت خير معبر عن الواقع اللهجي السائد في الجزيرة العربية آنذاك ، فقد وردت طائفة من القراءات وفيها مظاهر لهجية تمثل لهجات قبائل تميم وقيس وأسد وهذيل وغيرها لذلك عني بها دارسو اللهجات واتخذوها مصدراً من مصادرهم . وقد رافقت القراءات القرآنية النحو العربي منذ نشاته فكان للنحويين القدماء أمثال عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي وعيسى بن عمر وغيرهما اختيار خاص بالقراءة فضلاً عن أن أبا عمرو بن العلاء يعد أحد القراء السبعة وبعد أن ثبتت دعائم النحو العربي على يد الخليل وسيبويه كانت القراءات مصدراً مهماً من مصادر النحويين .

وقد تضاربت الآراء في موقف النحويين سواء أكانوا من البصريين أم الكوفيين من القراءات فمنهم من أنحى باللائمة على البصريين لكونهم طعنوا في القراءات ووصموا عدداً من القراء باللحن ومنهم من أثنى على الكوفيين لانهم لم يستبعدوا من منهجهم الاستشهاد بالقراءات وذلك ما سنتبينه من خلال البحث .

ومن اجل الدقة في البحث ولكونه لا يتسع ليشمل موقف النحاة جميعهم من القراءات ارتايت ان اتخذ علماً بارزاً من أعلام مدرسة البصرة في النحو الا وهو ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥ هـ) لكي اسبر موقفه من القراءات لذا عدت الى كتابيه المقتضب والكامل في اللغة والادب وجمعت القراءات التي وردت فيهما وما ذكره المبرد من تعليقات تشير الى موقفه من القراءات على اني لم اكتف بذلك بل عدت الى بعض المصادر التي ذكرت ان للمبرد موقفاً من هذه القراءة او تلك مما لم يرد في كتابيه اللذين عدت اليهما وكانا مصدري هذه الدراسة .

هذا ومن الله التوفيق ..

* التمهيد *

قبل الخوض في موقف المبرد من القراءات لابد من ذكر آراء بعض الدارسين الذين تعرضوا لموقف البصريين .

فقد ذهب محمد عبد الخالق عضيمة الى : ((أن الحمله على القراء بردّ قراءاتهم وتلحينهم استفتح بابها وحمل لواءها زعماء البصرة المتقدمون ثم تطاير شررها الى من بعدهم فشاركوا فيها))[١] .

ونحا الدكتور عبد العال سالم مكرم الى أن البصريين ؛ ((كانوا لا يحتجون بالقراءات الا في القليل النادر الذي يتفق مع أصولهم ويتناسق مع مقاييسهم))[٢] .

ونكر ايضاً إن البصريين قد استبعدوا من منهجهم الاستشهاد بالقراءات إلا اذا كان هناك شعر يسندها أو كلام عربي يؤيدها أو قياس يدعمها[٣] .

ووازن الدكتور مهدي المخزومي بين موقف البصريين وموقف الكوفيين ونكر ان ــ الكوفيين قبلوا القراءات واحتجوا بها واتخذوها شاهداً للكثير من أصولهم وأحكامهم وذلك يغاير موقف البصريين تماماً[٤] .

ونكرت الدكتورة خديجة الحديثي ان الخليل وسيبويه قد عُنيا بالقراءات ولم يخطئا قراءة بل نظرا الى القراءات نظرة احترام وتقديس لان القراءة سنة ويذباي الا تُخالف[٥] .

ومن يتتبع نشاة النحو العربي يتبين أن معظم النحويين

www.dorat-ghawas.com

الاوائل كان لهم اهتمام خاص بالقراءات وكانوا يرجحون قراءة على أخرى الى ان نصل الى أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة فضلاً عن انه كان يرجح قراءة أو يفضلها على غيرها فقد لحن عدداً من القراءات على الرغم من ان بعضها كان لقراء معروفة مكانتهم كابن عامر مقرىء الشام ونافع بن ابي نعيم مقرىء المدينة[٦] . وهما من القراء السبعة .

وقبل البحث في موقف المبرد من القراءات ينبغي ان نطرح الأسئلة الآتية :

كيف يمكن تبرير رفض بعض البصريين لعدد من القراءات ؟ وهل قبل الكوفيون القراءات كلها ؟ ألم يشتركوا مع البصريين في رمي عدد من القراء بالوهم وعدم معرفة العربية ؟ ألا يمكن تفسير منهج البصريين بأنه منهج يميل الى الحفاظ على اطراد القاعدة وطرح الشاذ حفاظاً على تقريب العربية لدارسيها من العرب وغيرهم ؟ .

وقبل الشروع في الجواب عن ذلك ينبغي أن نعرض موقف المبرد من القراءات لنتمكن من خلال ذلك من معرفة حقيقة موقف النحاة من القراءات بشكل واضح ودقيق[٧] .

* المبرد والقراءات *

عني المبرد بالقراءات القرآنية واتخذ منها شاهداً للكثير من القواعد النحوية لكنه لم يكن معنياً بعزو القراءات . فكثيراً ما يستعمل تعبيرات تدل على عنايته بالقراءة اكثر من عنايته بالقارىء الذي قرأها من ذلك قوله : ((وقد قرأ بعض القراء)) و ((فاما القراءة فعلى ضربين)) و ((على هذا قراءة من قرأ)) و ((وقراءة بعض الناس)) ...

لكنه عزا بعض القراءات لأصحابها فعزا قراءة للرسول ﴿ ﷺ ﴾[٨] والخليل[٩] والحسن البصري[١٠] وأبي عمرو بن العلاء[١١] وحمزة الزيات[١٢] ونافع بن أبي نعيم[١٣] ويعقوب بن اسحق الحضرمي[١٤] وعيسى بن عمر[١٥] وعبد الله بن عباس[١٦] وأبي رجاء العطاردي[١٧] ومحمد بن مروان[١٨] . وأغلب الظن أن المبرد كان يعنى بالقراءة وبخاصة تلك التي تخص الجانب النحوي ولم يكن راوياً للقراءات لذلك أغفل العديد من القراءات ولم ينسبها لاصحابها وهي معظم ما ورد في كتابيه من قراءات .

أما موقفه من القراءات فيمكن ان نصنفه في ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الاول : قبول القراءات

الاتجاه الثاني : ترجيح قراءة على أخرى

الاتجاه الثالث : رد القراءات والطعن فيها

١ ــ قبول القراءات :

وهو الاتجاه الغالب على موقف المبرد فهو يستشهد بالقراءة من غير ترجيح أو تغليط ويذكر اكثر من وجه في القراءة الواحدة ويعطي تفسيراً لكل وجه بما ينسجم وطبيعة تفكيره النحوي وسأعرض طائفة من القراءات تبين موقفه هذا من ذلك مثلاً :

١ ــ قال المبرد : ((فاما القراءة فعلى ضربين : قرأ قوم (وقالت اليهودُ عزيرٌ ابنَ الله) ﴿ التوبة / ٣١ ﴾ لانه ابتداء وخبر فلا يكون في (عزير) الا التنوين ومن قرأ :ــ (عزيرُ ابن الله) فانما أراد خبر ابتداء كانهم قالوا : هو عزير ابن الله))[١٩] .

وقراءة التنوين هي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وقرأ الباقون بغير تنوين لكونه لا ينصرف للعجمة والتعريف أولاً لالتقاء الساكنين[٢٠] . وقد رجح الفراء قراءة التنوين[٢١] .

على حين ان المبرد يذكر القراءتين ويفسرهما على حد سواء ويعرض أوجه الاعراب التي تاثرت باختلاف القراءة .

٢ ــ وقال أيضاً : ((وهذه الآية تقرأ على الأوجه الثلاثة وذلك قوله : (في الظُلُمات والظَلَمات والظُلْمات)[٢٢] ﴿ الانعام / ٣٩ ، ١٣٢ والانبياء / ٨٧)

وقراءة تسكين العين في (ظُلمات) في جميع القرآن قرأ بها الحسن البصري ويحيى بن وثاب وكذلك قراءة فتح العين[٢٣] . فالمبرد يذكر أوجه القراءة كلها على الرغم من شذوذ بعضها .

٣ ــ وجاء في المقتضب : ((وقال : (ياأهل يَثرب لا مقام لنا) ﴿ الاحزاب / ١٣ ﴾ لانها من قمت موضع قيام ومن قرأ : (لا مُقام) إنما يريد لا إقامة))[٢٤] . فهو يقبل القراءتين من غير ترجيح والقراءتان سبعيتان فقراءة الضم لحفص أما الباقون فقرأوا ــ بالفتح[٢٥] . أما الفراء من الكوفيين فقد رجح قراءة (مقام) بفتح الميم وقال : ((والمَقام بفتح الميم أجود في العربية))[٢٦] .

٤ ــ وقال : « وقرأ بعضهم (بالغدوة والعشي) فادخل الالف واللام على(غدوة) من الآية : (يدعون ربهم بالغداة والعشي) (الكهف / ٢٨الانعام / ٥٢) فذكر القراءة[٢٧] من غير اعتراض عليها . لكن الفراء انكر هذه القراءة لان العرب لا تدخل الالف واللام على غدوة وأن العرب استعملوها نكرة .[٢٨]

وزعم الفراء أن قراءة (بالغدوة) هي قراءة أبي عبد الرحمن السلمي لكنها قراءة ابن عامر ايضاً[٢٩] . ويظهر أن هذه القراءة هي أثر لهجي تمال فيه الالف نحو الواو .

٥ــ وقال ايضاً : « فاما قراءة الحسن (صادِ والقرآن)

www.dorat-ghawas.com

(ص / ١) فانه لم يجعلها حرفاً ولكنه فعلٌ إنما أراد : صاد بالقرآن عملَكَ وهذا تفسير الحسن أي عارض بالقرآن عملك من قولك صاديتُ الرجلَ اي عارضته[٣٠] . وتُنْسبُ هذه القراءة لأبن ابي اسحاق وأُبيّ بن كعب ونصر بن عاصم[٣١] وعلى الرغم من أن هذه القراءة شاذة لكن المبرد يقبلها ويفسرها من غير أن يعترض عليها .

٦ ــ وقال ايضاً : « والآية تقرأ على وجهين : (قل إن ربي يقذفُ بالحقِّ علّامُ الغيوب) ﴿ سبأ / ٤٨ ﴾ بالنصب والرفع)[٣٢] وقراءة الرفع هي قراءة جمهور القراء أما قراءة النصب فهي قراءة عيسى بن عمرو ابن ابي اسحق وزيد بن علي وهي من القراءات الشاذة[٣٣] وعلى الرغم من أن في القراءة اختلافاً نحوياً لكن المبرد لا يعترض أو لا يرجح قراءة على أخرى ويذكر وجهي القراءة من غير تعليق .

وهنالك نماذج عدة تبين ان المبرد يستشهد بالقراءة بأوجهها المختلفة معطياً تفسيره لكل وجه من غير تفضيل او طعن[٣٤] وذكر طائفة من القراءات التي تمثل بعض اللهجات العربية القديمة منها لهجة تميم وقيس وأسد وكلها تدخل في اتجاه قبول القراءة وتفسيرها لصالح القاعدة النحوية أو لتأييد استعمال لغوي .[٣٥]

٢ ــ الترجيح :

ــ رجح المبرد عدداً من القراءات لانها أقرب الى القياس او الى الاستعمال الفصيح او لانها لقيت قبولاً من سابقيه ونجد ذلك جلياً في موقفه من قراءة أبي عمرو بن العلاء (فقد جا أشراطها) (محمد / ١٨) فكان أبو عمرو يخفف الهمزة الاولى اذا اجتمعت همزتان في كلمتين ويحقق الهمزة الثانية أما اذا ابتدأ بهمزتين متجاورتين في كلمة والهمزة الاولى للأستفهام فكان يحقق الهمزة الأولى ويخفف الهمزة الثانية وعلى نهجه هذا جاءت قراءته (أألد وأنا عجوز) (هود / ٧٢) لكن الخليل بن أحمد كان يرى ان تخفف الهمزة الثانية على كل حال لان اللفظ يبتدىء بالهمزة الأولى وينبغي أن تحقق لذلك وقد رجح المبرد رأي الخليل وقال : « وقول الخليل اقيس واكثر النحويين عليه »[٣٦] .

ــ وتعرض المبرد لقراءة ابي عمرو بن العلاء في مجال الادغام إذ مال الى ادغام لام (هل) و (بل) فيما بعدهما وقرأ : (بتُؤثرون)في قوله تعالى : (بل تؤثرون) (الاعلى / ١٦) وقرأ ابو عمرو : (هَثُوِّبَ الكفّار) في قوله تعالى : (هل ثُوِّب الكفار) ﴿ المطففون / ٣٦ ﴾ وعزيت قراءة الادغام لحمزة الزيات والكسائي[٣٧] . فساوى المبرد أول الامر بين الادغام والاظهار ومال الى الإظهار فقال : « وهو عندي احسن لتراخي المخرجين » .[٣٨]

ــ وفي مجال الادغام أيضاً رجّح قراءة إظهار النون مع أصوات الحلق وذلك في أجود القراءتين على رأيه : (الا يعلمُ مَنْ خَلَقَ) ﴿ الملك / ١٤ ﴾ لانها تظهر النون عند مجاورتها للخاء وقد قرأ قالون بادغام النون مع الخاء والغين في جميع القرآن[٣٩] ولذلك قال المبرد : « وهذا عندي لا يجوز ولا يكون ابداً مع حروف الحلق الا الاظهار »[٤٠]وقال قبل ذلك : « إنما قلت أجود القراءتين لان قوماً يجيزون اخفاءها مع الخاء والغين خاصة لانهما اقرب حروف الحلق الى الفم »[٤١] . فهو يتردد في موقفه من هذه القراءة بين الترجيح والرفض .

ــ وفي باب الجزاء ذكر المبرد ان المعطوف على فعل الشرط ينبغي ان يكون مجزوماً وأجاز فيه الرفع على سبيل القطع وأجاز فيه النصب وإن كان قبيحاً[٤٢] واستشهد لذلك بقراءة : (يحاسبكم به الله فيغفرُ لمن يشاء) ﴿ البقرة / ٢٨٤ ﴾ وذكر انها قرئت على ثلاثة اضرب بالجزم والرفع والنصب . وعزيت قراءة الرفع في (فيغفر) الى ابن عامر وعاصم من السبعة أما باقي السبعة فقرأوا بالجزم وعزيت قراءة النصب الى ابن عباس والاعرج[٤٣] . فالمبرد يذكر أوجه القراءة المختلفة في الآية ثم يرجح اقربها الى القياس وأجودها في الاستعمال فَعَدّ قراءة الجزم أجودها ثم قراءة الرفع فالنصب[٤٤] .

ــ وذهب الى ان ياء المتكلم حينما تقع مضافاً اليها ينبغي ان تحذف في النداء ويجوز ان تثبت واستشهد لاثباتها بقراءة : (يا عبادي فأتقون) ﴿ الزمر / ١٦ ﴾ وهي قراءة رويس[٤٥] وعزا سيبويه هذه القراءة الى أبي عمرو بن العلاء وذكر أن : « بقيان الياء لغة في النداء في الوقف والوصل »[٤٦] . والمبرد لم يخطيء القراءة الثانية لكنه رجح القراءة بحذف الياء عليها .[٤٧]

ــ وعقب على ما جاء في مصحف ابن سعود : (وَدوا لو تُدهنُ فيدهنوا) ﴿ القلم / ٩) ــ بقوله : « والقراءة : (فيدهنون) على العطف وفي الكلام : ودّ لو تاتيه فتحدثُهُ فهو يرجح قراءة العطف على قراءة النصب مستعيناً بمثل من كلام العرب لكنه يعود ليجيز القراءة بالنصب فيقول : « وان شئت نصبت الثاني »[٤٨] .

٣ ــ ردّ القراءات والطعن فيها :

ــ رد المبرد قراءة سعيد بن جبير (وأنه تعالى جَدّاً ربُنا) ﴿ الجن / ٣ ﴾ وذلك لكونها خالفت الرسم القرآني اذ ورد

www.dorat-ghawas.com

في القرآن : (وانه تعالى جدُّ ربنا) فقال المبرد :

« قرأ قارىء (جدّاً ربنا) على معنى (جدّ ربنا) لم يقرأ به لتغير الخط وكذا قراءة سعيد مخالفة الخط »[٤٩] .

ـ وقرأ جمهور القراء برفع (آيات) من قوله تعالى : (واختلاف الليل والنهارِ وما أنزل الله من السماء من رزقٍ فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح آياتٌ لقوم يعقلون) (الجاثية / ٤) .

وقد قرأ الاعمش والجحدري وحمزة ويعقوب بالنصب[٥٠] . وعقب المبرد على قراءة النصب بقوله : « وقد قرأ بعض القراء وليس بجائز عندنا (واختلاف .... آياتٍ) فجعل (آيات) في موضع نصب وخفضها لتاء الجمع فحملها على (إنّ) وعطفها بالواو وعطف (اختلافاً) على (في) ولا ارى ذا في القرآن جائزاً لانه ليس بموضع ضرورة)[٥١] .

وسبب رفض المبرد قراءة النصب هو عدم جواز العطف على معمولي عاملين ذلك لان قراءة النصب تؤول على النحو الآتي : (وان في تصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) فقد عطف على معمولي عاملين هما (انّ) وحرف الجر (في) وذلك مما يرفضه المبرد[٥٢] .

ـ ومما وصمه باللحن من القراءات متأثراً بآراء سابقيه قراءة : (هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم) (هود / ٨٧) بنصب (أطهر) فقال فيها : « أما قراءة اهل المدينة .... فهو لحن فاحش وانما هي قراءة ابن مروان ولم يكن له علم بالعربية »[٥٣] ولم تكن هذه قراءة محمد بن مروان فحسب لكنها قراءة الحسن البصري وزيد بن علي وعيسى بن عمر وسعيد بن جبير[٥٤] . ونقل أبو حيان ما رواه يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء قوله : « احتبى ابن مروان في هذه في اللحن » وعزا أبو حيان تلحين القراءة الى سيبويه لكن الثابت ان سيبويه لم يلحن القراءة في كتابه[٥٥] .

وفضّل المبرد قراءة الرفع في (أطهر) لانها خبر للمبتدأ (هنّ) ولا يصح عنده ان تكون (هنّ) ضمير فعل وتنصب (أطهر) على سبيل الحال وهو في ذلك يحذو حذو الخليل وسيبويه والاخفش[٥٦] .

ـ وردّ المبرد قراءة اتفق عليها القراء السبعة وهي (أو جاء وكم حصرت صدورهم) (النساء / ٨٩) وقال يفسر هذه القراءة أول الامر : « وليس الأمر عندنا كما قالوا ولكن مخرجها ـ والله اعلم اذا قرئت كذا ـ الدعاء كما تقول : لعنوا قطعت ايديهم . وهو من الله ايجاب عليهم فاما القراءة الصحيحة فانما هي : (أو جاء وكم حصرةً صدورهم »[٥٧] وعزيت هذه القراءة ليعقوب من القراء العشرة[٥٨] . وتخريج المبرد للقراءة الأولى ثم عده القراءة الثانية هي الصحيحة جرأة منه للطعن في قراءة اتفق عليها .

ـ وردّ المبرد قراءة أبي عمرو واهل المدينة : (وانه اهلك عادا لوّلى (النجم / ٥٠) موصولة مدغمة وقال في ذلك : « ما علمت ان ابا عمرو لحن في صميم العربية في شيء من القرآن الا في : (يُؤتُه اليك) (آل عمران / ٧٥) وفي (وانه اهلك عاداً الاولى)[٥٩] ، على حين قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (عاداً الأولى) منونة[٦٠] . وسبب رفض المبرد لهذه القراءة يعود الى عدم جواز ادغام التنوين في اللام لان التنوين ساكن واللام ساكنة فكانه جمع بين ساكنين[٦١] . وقد قبل الزجاج هذه القراءة وعدها لهجة[٦٢] وكذا ـ فعل الفراء[٦٣] .

ـ وطعن المبرد في قراءة أبي عمرو في اختلاس الحركة لكونه كان يميل الى التخفيف والسرعة في النطق فروى عن أبي عمرو (يشعركم) و (يعلمهم) و (يامركم)[٦٤] .

وفسّر الفراء هذا المنهج في القراءة تفسيراً صوتياً يهدف الى التخفيف من الحركات اذا توالت[٦٥] .

وقد عرف هذا النهج في النطق في قبائل تميم وأسد[٦٦] بوصفه ظاهرة لهجية وفسرها سيبويه انها إسراع في اللفظ[٦٧] .

لكن المبرد يطعن في هذه القراءة ويقول : « انه لا يجوز في كلام ولا شعر لانها حرف اعراب »[٦٨] .

ـ ورد المبرد قراءة همز (معائش) من قوله تعالى : (ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش) (الاعراف / ٩) فقال « فاما قراءة من قرأ (معائش) فهمز فانه غلط وانما هذه القراءة منسوبة الى نافع بن أبي نعيم ولم يكن له علم بالعربية وله في القرآن حروف قد وقف عليها[٦٩] .

ويظهر ان المبرد كان متأثراً بشيخه المازني فقال في تصريفه : « فأما قراءة من قرأ من اهل المدينة (معائش) بالهمز فهي خطأ فلا يلتفت اليها وانما أخذت عن نافع بن أبي نُعيم ولم يكن يدري العربية وله احرف يقرأها لحناً نحواً من هذا وقد قالت العرب : مصائب فهمزوا وهو غلط »[٧٠] ورفض المبرد قراءة نافع لانه همز الياء وهي ليست زائدة فمتى ما كلفت الياء زائدة صحّ ان تهمز كما في صحائف ومدائن ذلك لان جمع معيشة : معايش وهي قراءة السبعة عدا نافع بن ابي نعيم[٧١] .

وقد سبقهما الفراء في اعتراضه على همز (معايش) فقال : « لا تهمز لانها ـ يعني الواحدة ـ مفعلة الياء من الفعل

www.dorat-ghawas.com

فلذلك لم تهمز انما من هذا ما كانت الياء فيه زائدة مثل مدينة ومدائن وقبيلة وقبائل »[٧٢] .

وعد همز معايش ونحوه مما توهمت فيه العرب لشبهها بالوزن في اللفظ وعدة الحروف .

وقال ايضاً : « وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام »[٧٣] ولعل هذه القراءة تدخل في مجال همز ما لم يهمز . وهي ظاهرة لهجية معروفة في قبائل تميم وقيس وغيرها ويرى بروكلمان ان هذه الظاهرة عرفتها اللغة السامية الام وبقيت آثارها في العربية القديمة ولهجاتها[٧٤] .

ـ وردّ المبرد قراءة حمزة : (واتقوا الله الذي تسألون به والأرحامِ) ﴿ النساء / ١ ﴾ وذلك لكونه عطف (الارحام (وهو اسم ظاهر على الضمير (الهاء) المجرور وقال المبرد : « وهذا مما لا يجوز عندنا الا أن يضطر اليه الشاعر » وذكر قول الشاعر :[٧٥]

فـاليـوم قـربت تهجـونـــا وتشتمنـا
فاذهب فما بـــك والأيامِ من عجب

والقراءة بخفض الأرحام هي قراءة عبد الله بن عباس قتادة وابراهيم النخعي والاعمش والحسن البصري ويحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف وقرأ الباقون بنصب (الارحام) عطفاً على لفظ الجلالة .[٧٦]

والذي كان يهدف اليه المبرد من اعتراضه على هذه القراءة هو السعي لأن تطّرد القاعدة النحوية ، فالشائع في الاستعمال هو عطف الاسم الظاهر على الاسم الظاهر أما عطف الاسم الظاهر على الضمير فذلك قليل وشاذ لا يصح جوازه ولا النسج على منواله لكونه يمثل منحى غير فصيح . فلاجل ألا تضطرب القاعدة وقف المبرد وغيره هذا الموقف الذي يسعى الى تشذيب اللغة مما هو شاذ غريبٌ في الاستعمال .

ـ وَعَدَّ المبرد قراءة : (ثمّ لْيقطعْ فلْينظر) ﴿ الحج / ١٥ ﴾ لحناً وقال : « فان الاسكان في لام (فلينظر) (الحج / ١٥) لحناً وقال : « فان الاسكان في لام (فلينظر)جيد وفي لام (ليقطع (لحن لانّ (ثم) منفصلة من الكلمة وقد قرأ بذلك يعقوب بن اسحق الحضرمي »[٧٧] .

وعزيت هذه القراءة للقراء السبعة ما عدا أبا عمرو بن العلاء وابن عامر فضلًا عن يعقوب بن اسحق الحضرمي من القراء العشرة[٧٨] ويعود رفض المبرد الى ان المطرد في الاستعمال تسكين لام الامر ـ اذا سبقت بالواو أو الفاء أما اذا سبقت بـ (ثم) فلا يصح ان تسكن بل تحرك بالكسر ذلك لان (ثم) كلمة مستقلة عن لام الامر غير ملتصقة بها وهو في هذه القراءة كدأبه مع القراءات الاخرى التي رأى فيها خروجاً على الشائع في الاستعمال وشذوذاً لا ينسجم مع القياس .

ـ ورفض المبرد قراءة أخرى فقال : « وقد قرأ بعض القراء بالاضافة فقال : (ثلاثمائةِ سنينَ) ﴿ الكهف / ٢٥ ﴾ وهذا خطا في الكلام غير جائز وانما يجوز مثله في الشعر للضرورة وجوازه في الشعر أنّا نحمله على المعنى لانه في المعنى جماعة وقد جاز في الشعر أن تفرد وأنت تريد الجماعة اذا كان في الكلام دليل على الجمع »[٧٩] . وعزيت هذه القراءة الى حمزة والكسائي وخلف والحسن البصري وطلحة والاعمش وآخرين .[٨٠]

وقد ذكر أبو حيان ان هذه القراءة انحى عليها ابو حاتم السجستاني « ولا يجوز له ذلك »[٨١] .

ويتبين لنا أن المبرد يحنو حنو أبي حاتم في رفض هذه القراءة ذلك لان التمييز المضاف اليه ينبغي أن يكون بصورة المفرد مع العدد ثلاثمئة وذلك هو المطرد في قاعدة العدد أما أن يكون بصورة الجمع فهو مخالف لها .

وعلى الرغم من نهج المبرد المتشدد ازاء هذه القراءات لكنه كان حريصاً على أن تحتفظ العربية بقواعد ثابتة لا يكتنفها الاضطراب والخلل فما شاع في الفصحى في مصادرها كلها سواء في القرآن أم في الشعر أم في كلام العرب فهو الاصل الذي يعتمد عليه في القياس وما سوى ذلك فهو من قبيل الاستعمال النادر الذي لا يصح القياس عليه .

* الخاتمة *

وبعد عرض موقف المبرد من القراءات يمكن القول أنه لم يعترض على القراءات جميعها لكنه قبل طائفة منها واستشهد بها بوصفها مصدراً من مصادره . أما اعتراضه على عدد من القراءات فقليل بالموازنة مع قبله منها فذلك لا يشكل سمة من سمات منهجه بقدر ما يبين اجتهاده وموقفه الخاص به سواءً أكان متأثراً بشيوخه أم بمنهجه الثابت في وضع قواعد شاملة تصلح لكل زمان ومكان بغية تيسير هذه اللغة لا للعرب فحسب بل لغير العرب من الموالي ومن الاقوام التي دخلت الاسلام .

واذا ما عد بعض الدارسين تشدد البصريين من القراءات سمة تعكس طبيعة مدرسة البصرة فان هذه السمة موجودة عند بعض الكوفيين وبخاصة الفراء فقد خطّا بعض القراءات ورمى أصحابها باللحن تارة وبالوهم تارة أخرى لذا ومن أجل ألا يفتعل الخلاف بين النحويين من البصريين والكوفيين ينبغي عد موقف النحويين من القراءات موقفاً شخصياً يعتمد على اجتهاد هذا

www.dorat-ghawas.com

النحوي او ذاك في مسائل اللغة والنحو وحجب هذه المسألة عن ميدان الخلاف يرمي التقليل من شأن حدة الخلافات بين البصريين والكوفيين .

وبعد فقد أكون مغالياً فيما عرضت أو مقصراً هنا أو هناك فذلك ما يوجب الاعتذار سلفاً .

والله الموفق وبه نستعين .

الهـوامـش

(١) أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية : ٤٣ .

(٢) أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية : ٥٧ .

(٣) القرآن وأثره في الدراسات النحوية : ٩٧ .

(٤) مدرسة الكوفة : ٣٤١ .

(٥) دراسات في كتاب سيبويه : ٣٦ .

(٦) أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو . الدكتور زهير زاهد ١٢٥ ــ ١٢٩ .

(٧) ينظر البحث الموسوم : « موقف الفراء من القراءات القرآنية » مجلة المورد مج ١٧ ع ٤ ص ١٥ وما بعدها . وفيه تم الوقوف على موقف الفراء من القراءات بوصفه علماً بارزاً من أعلام مدرسة الكوفة في النحو .

(٨) المقتضب : ٢ / ١٨٧ .

(٩) نفسه : ٢ / ٣٦٤ .

(١٠) نفسه : ١ / ٢٨٣ .

(١١) نفسه : ١ / ١٥٨ ٢١٤ والكامل : ١ / ١٠٧ ٣٧٢ .

(١٢) الكامل : ٣ / ٣٩ .

(١٣) المقتضب : ١ / ١٢٣ .

(١٤) نفسه : ٢ / ١٣٤ .

(١٥ ــ ١٧) الكامل : ١ / ١١٢ ٣٩/٣ ، ٨٥ ، ٣٣٩/١ .

(١٨) المقتضب : ١٠٥/٤ .

(١٩) المقتضب : ٣١٦/٢ .

(٢٠) ينظر في القراءة اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربع عشر للدمياطي : ٢٤١ .

(٢١) معاني القرآن : ٣٠٠/٣ .

(٢٢) المقتضب : ١٨٩/٢ .

(٢٣) ينظر في القراءة البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : ٨٠/١ وشواذ أبن خالويه : ٢ / ٣٦ .

(٢٤) المقتضب : ٢ / ١٢٠ .

(٢٥) النشر في القراءات العشر لابن الجزري : ٣٤٨/٢ .

(٢٦) معاني القرآن : ٣ / ٤٤ .

(٢٧) المقتضب : ٤ / ٣٥٤ .

(٢٨) معاني القرآن : ١٣٩/٢ .

(٢٩) النشر : ٢٥٨/٢ والبحر : ١٣٦/٤ والاتحاف : ٢٨٩ .

(٣٠) المقتضب : ٢٨٣/١ ــ ٢٨٤ .

(٣١) ينظر في القراءة البحر : ٣٨٣/٧ وشواذ ابن خالويه / ١٢٩ .

(٣٢) المقتضب : ١١٤/٤ .

(٣٣) البحر المحيط : ٢٩٢/٧ وشواذ ابن خالويه : ١٢٢ .

(٣٤) ينظر في ذلك مثلاً المقتضب : ١٥٩/١ ، ١٨١ ، ٣٤/٢ ، ٤٣ ، ١٠٥/٤ ، ٢٦٣ ، ٢٩٠ والكامل : ١٤٠/٢ ومواضع اخرى .

(٣٥) ينظر في القراءات التي تمثل اللهجات : المقتضب : ١٨٩/٢ و ٤ / ١٠٥ و ٤١٣ . والكامل : ٣٣٩/١ و ١٤٠/٢ .

(٣٦) المقتضب : ١٥٨/١ ــ ١٥٩ وينظر الكتاب : ٥٤٨/٣ ــ ٥٤٩ . وينظر في القراءة السبعة في القراءات : ١٣٤ ــ ١٣٥ . ينظر مفصل قراءة ابي عمرو في « ابو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو » : ٦٣ ــ ٦٤ .

(٣٧) النشر : ٦/٢ ــ ٧ والاتحاف : / ٤٣١ .

(٣٨) المقتضب : ١ / ٢١٤ .

(٣٩) النشر : ٢٣/٢ .

(٤٠) المقتضب : ٢١٦/١ .

(٤١) المقتضب : ٢١٦/١ .

(٤٢) المقتضب : ٢٢/٢ .

(٤٣) البحر المحيط ، ٣٦٠/٢ والنشر : ٢٣٧/٢ .

(٤٤) المقتضب : ٦٧/٢ .

(٤٥) النشر : ١٨٠/٢ .

(٤٦) الكتاب : ٢٠٩/٢ ــ ٢١٠ .

(٤٧) المقتضب : ٢٤٧/٤ .

(٤٨) الكامل : ٣٤٩/٣ . وهنالك امثلة اخرى تبين موقف الترجيح ينظر في ذلك : الكامل : ٢٦٦/٢ والمقتضب : ١٨٥/٢ ، ٣١٤ .

(٤٩) الكامل : ٣ / ١٣٦ .

(٥٠) البحر : ٤٢/٨ والنشر : ٣٧١/٢ .

(٥١) الكامل : ٢٨٧/١ وذكر هذه الموقف في المقتضب : ١٩٥/٤ .

(٥٢) ينظر تفسير ابن هشام لذلك في المغني : ٤٨٦/٢ .

(٥٣) المقتضب : ١٠٥/٤ .

(٥٤) ينظر في القراءة البحر المحيط : ٢٤٧/٥ وفيه : ورويت هذه القراءة عن مروان بن الحكم .

(٥٥) البحر المحيط : ٢٤٧/٥ وينظر الكتاب : ٣٩٦/٢ ــ ٣٩٧ وجاء في الكتاب : نه بدلًا من هنه .

واعراب للقرآن : ١٠٤/٢ .

(٥٦) اعراب القرآن : ١٠٤/٢ .

www.dorat-ghawas.com

(٥٧) المقتضب : ١٢٤/٤ ــ ١٢٥ .
(٥٨) النشر : ٢٥١/٢ .
(٥٩) اعراب القرآن : ٢٧٦/٣ ــ ٢٧٧ .
(٦٠) ينظر في القراءة السبعة : ٦١٥ .
(٦١) اعراب القرآن : ٢٧٧/٣ .
(٦٢) نفسه والصفحة نفسها .
(٦٣) معاني القرآن للفراء : ١٠٢/٣ .
(٦٤) النشر : ٢١٣/٢ والسبعة : ١٥٥ ــ ١٥٦ .
(٦٥) معاني القرآن : ١٢/٢ .
(٦٦) النشر : ٢١٣/٢ وينظر لهجة قبيلة أسد : ولهجة تميم :
(٦٧) الكتاب : ٢٠٢/٤ .
(٦٨) اعراب القرآن : ١٧٦/١ و ٧٠٣/٢ .
(٦٩) المقتضب : ١٢٣/١ .
(٧٠) التصريف : ٣٠٧/١ وينظر في القراءة شواذ ابن خالويه/٤٢ .
(٧١) الاتحاف : ٢٢٢ .
(٧٢) معاني القرآن : ٣٧٣/٢ .
(٧٣) الكتاب : ١٧٩/٤ .
(٧٤) فقه اللغات السامية : ٤١ .
(٧٥) الكامل : ٣ / ٣٩ واعراب القرآن : ٣٩٠/١ وشرح المفصل : ٧٨/٣ .
(٧٦) ينظر في القراءة السبعة في القراءات : ٢٢٦ واعراب القرآن : ٣٩/١/ والاتحاف : ١٨٥ .
(٧٧) المقتضب : ١٣٤/٢ .
(٧٨) ينظر في القراءة النشر : ٣٢٦/٢ والاتحاف : ٣١٤ .
(٧٩) المقتضب : ١٧١/٢
(٨٠) ينظر القراءة النشر : ٣١٠/٢ والبحر المحيط : ١١٧/٦ . والاتحاف : ٢٨٩ .
(٨١) البحر : ١١٧/٦ .

* المصادر والمراجع *

ــ ابو العباس المبرد وأثره في علوم العربية ، محمد عبد الخالق عضيمة مكتبة الرشيد ــ ط . الاولى ــ الرياض ١٤٠٥ هـ .

ــ أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو ، الدكتور زهير غازي زاهد . مركز دراسات الخليج العربي ــ جامعة البصرة ــ مطبعة جامعة البصرة ١٩٨٧ .

ــ اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربع عشر لاحمد بن محمد الدمياطي . دار الندوة الجديدة ــ بيروت ــ لبنان . رواه وصححه وعلق عليه علي محمد الضباع

ــ اثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ، الدكتور عبد العال سالم مكرم . مطـ العصرية ــ طـ ــ الثانية ، الكويت ١٩٧٨ .

ــ أعراب القرآن لابي جعفر النحاس ، تحـ الدكتور زهير غازي زاهد . مطـ العاني ــ طـ . الأولى ــ بغداد ١٩٧٩ .

ــ البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، طـ الثانية ــ دار الفكر ــ بيروت ١٩٧٨ .

ــ التصريف للمازني شرح ابن جني . تحـ ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين . طـ . الأولى . مسطـ مصطفى البابي الحلبي ــ مصر ١٩٥٤ .

ــ دراسات في كتاب سيبويه ، الدكتورة خديجة الحديثي . وكالة المطبوعات ــ الكويت ــ ١٩٨٠ .

ــ السبعة في القراءات لابن مجاهد تحـ . الدكتور شوقي ضيف دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .

ــ شرح المفصل لابن يعيش طـ مصورة ، عالم الكتب ، بيروت .

ــ فقه اللغات السامية . كارل بروكلمن ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب . جامعة الرياض ١٩٧٧ .

ــ القرآن وأثره في الدراسات النحوية ، الدكتور عبد العال سالم مكرم . دار المعارف بمصر ــ القاهرة ــ ١٩٦٥ .

ــ الكامل في اللغة والادب لأبي العباس المبرد ، تحـ محمد أبو الفضل ابراهيم . مطـ دار النهضة مصر ــ القاهرة .

ــ الكتاب لسيبويه تحـ عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر طـ . الأولى ــ القاهرة ١٩٧١ .

ــ لهجة قبيلة أسد ، على ناصر غالب ، دار الشؤون الثقافية العامة . طـ الأولى ، بغداد ١٩٨٩ .

ــ مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه نشر ج . برغشتراسر طـ . دار الهجرة .

ــ مدرسة الكوفة ، الدكتور مهدي المخزومي طـ . الثانية مطـ البابي الحلبي ــ مصر ــ ١٩٥٨ .

ــ معاني القرآن للفراء . تحـ . أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار طـ . الثانية ــ بيروت ١٩٨٠ .

ــ مغني اللبيب لابن هشام . تحـ الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله . دار الفكر . طـ . الخامسة ــ بيروت ١٩٧٨ .

ــ المقتضب لابي العباس المبرد . تحـ محمد عبد الخالق عضيمة طـ الأولى ــ القاهرة ــ ١٣٨٥ ــ ١٣٨٨ هـ .

ــ النشر في القراءات العشر لابن الجزري . مطـ البوفلة دمشق ١٣٤٥ هـ .